دليل الحَيْران من أهل الإيمان عن كيف نستقبل شهر رمضان

2024-03-08

الْحَمْدُ للهِ الكَرِيمِ المنَّانِ، أَنْعَمَ عَلَيْنَا بِالإِيمَان، وأكرمنا بمواسم البر والإحسان، وَفَرَضَ عَلَيْنَا الصَّوْمَ فِي رَمَضَان. لِنَيْلِ الرِّضَا وَالرِّضْوَانِ. مِنَ اللهِ الْمَلِكِ الدَّيَّان؛ تَهْذِيباً لِلنُّفُوسِ وَصِحَّةً لِلأَبْدَان. فسبحانه من إله جعل شهر رمضان موسمًا للطاعات، وأفاض على الصائمين بنعم الرضوان والنفحات، وأشهدُ أنْ لاَ إلَهَ إلاَّ اللهُ وَحدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، مَنَّ على عباده بدين الإسلام، وجعل من أركانه الصيام. ليفوز الموَفَّقون بتكفير الذنوب والآثام. وأشهد أنّ سيّدنا محمدًا عبده ورسوله. وصفيه من خلقه وخليله، رسول الرحمة. وسرّ ما نحن فيه من نعمة. أكرمنا الله ببعثته. وزاد في إكرامنا فجعلنا من أمّته. وزاد في فضله فوفّقنا لاتّباع سنّته، فنسأل الله تعالى أن يجعلنا جميعاً من أهل شفاعته. وأن يحشرنا في الآخرة تحت لواء حضرته. وأن يسكننا جواره في جنّته.

فمَنْ مثلُنا هذا الوجيه رسولُنا * إلى أمْره دانت وذلّت جهنّمُ

رؤوفٌ رحيمٌ بالبريّة شافعٌ * علينا به المولى يتوب ويحلُمُ

فيا معشر الإخوان بالله فاشكروا * وصلّوا عليه أجمعون وسلِّموا

اللهم صلِّ وسلِّم وبارِك على سيّدنا محمّد. بغية السالكين المنتسِبين إلى الله. وعلى آله ذوي السيادة والجاه. وصحابته الفائزين برضى الله. صلاة تجعلنا بها من المهتدين بهداه. المغترفين من بحر كرمه ونداه. الساعين في تحصيل طاعته ونيل رضاه. بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين. يا رب العالمين. **أمّا بعد:** فيا أيّها المسلمون. إنّ لله جل وعلا منحاً وعطايا ينعم بها على عباده في كل حين، وهذه هي حال الكريم الرحيم مع عباده الفقراء المحتاجين إليه، وكل يوم هو في شأن؛ يستر ذنباً، ويعفو عن زلة، ويمحو سيئة، ويقبل توبة، ويرفع درجة. ولهذا شرع سبحانه وتعالى مواسم تمسح

الذنوب والآفات، وتغسل الزلاّت، وتزيل العثرات ، مواسم تزيد في الحسنات، ويمحو الله بها الكثير من السيّئات، ومن تلكم المواسم، شهر رمضان المبارك، الذي ينتظر قدومه المسلمون بكل لهف، ويتأمّله المؤمنون بكل شغف، وما هو إلا يومان أو ثلاث، ويحلّ هذا الضيف الكريم بيننا، فَطُوبَى لِلمُسلِمِينَ فِي استِقْبَالِهِ، وَطُوبَى لَهُمْ فِي نَفَحَاتِهِ وَإِشْرَاقَاتِهِ، أيّها المسلمون. مَن منّا فكّر في الإستعداد لرمضان والتهيّؤ لاستقباله؟! أتدرون ما مشكلة بعض المسلمين؟! مشكلتهم في كل عام يأتيهم رمضان وهم غافلون، لا يكاد يجد بعضهم طَعْم العبادة وحلاوة الطاعة إلا وقد انقضى رمضان. وانطوت صحائفه بما فيها. من إحسان المحسِن. وإساءة المسيء، فيندمون ويتحسّرون ويتألّمون، ويقولون: نعوّض في العام القادم، ويأتي العام القادم فلا يكون أحسن حالاً من سابقه، وهكذا حتى ربما كان آخِر رمضان يُدركونه ولا زالوا يؤجّلون. وإذا كان الإنسان حريصاً أن يستعدّ لأمور دنياه! أفلا يستعدّ المسلم للطاعة ويتهيّأ للعبادة؟! ولو أنّنا تذكّرنا ما كان يقال عن أسلافنا رحمهم الله. وأنهم كانوا يستقبلون رمضان قبل مجيئه بستة أشهر، ويدعون الله أن يبلّغهم إيّاه، فإذا بلّغهم دعوا الله ستة أشهر أن يتقبّله منهم، وكانوا يقولون في دعائهم: (اللهمّ سلّمنا لرمضان، وسلِّم رمضان لنا، وتسلَّمه منّا متقَبَّلاً). لو تذكّرنا هذا لعرفنا لماذا كانوا يجدون لرمضان طعماً لا يجده كثير منّا. فرمضان مزرعة الآخرة، فهل مِن زارع؟! ورمضان فرصة للتائبين فهل من تائب؟! أيّها المسلمون. لقد كَانَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم يُهَنِّئُ أَصْحَابَهُ بِوُصُولِ هذا الشهر الكريم، وَيُبَشِّرُهُمْ بِقُدُومِهِ، وَيَحُثُّهُمْ عَلَى صِيَامِهِ وَقِيَامِهِ، ويعلن لهم عن فضائله. شحذًا لهممهم وعزائمهم، وتشويقًا لهم لاغتنام أيامه وساعاته، فقد رَوَى الإمام أَحْمَدُ وَالنَّسَائِيُّ عنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عن النبيّ صلى الله عليه وسلم أنّه قال: ((قَدْ جَاءَكُمْ رَمَضَانُ، شَهْرٌ مُبَارَكٌ، افْتَرَضَ اللهُ عَلَيْكُمْ صِيَامَهُ، تُفْتَحُ فِيهِ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ، وَتُغْلَقُ فِيهِ أَبْوَابُ الْجَحِيمِ، وَتُغَلُّ فِيهِ الشَّيَاطِينُ، فِيهِ لَيْلَةٌ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ،

مَنْ حُرِمَ خَيْرَهَا فَقَدْ حُرِمَ)). كما كانَ صلى الله عليه وسلم يُعَرِّفُ الناسَ فضائلَ ومزايَا هذَا الشهرِ الكريمِ، ويَذْكُرُ لهمْ مَا فيهِ مِنْ خيراتٍ ورحماتٍ وبركاتٍ. فتقوَى عندَهُمُ الْهِمَّةُ. وتشتاقُ القلوبُ والأرواحُ لقُدُومِ هذَا الشهرِ المباركِ، فقد روى التِّرْمِذِيُّ وَابْنُ مَاجَهْ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: ((إِذَا كَانَ أَوَّلُ لَيْلَةٍ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ صُفِّدَتِ الشَّيَاطِينُ وَمَرَدَةُ الْجِنِّ، وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ النَّارِ، فَلَمْ يُفْتَحْ مِنْهَا بَابٌ، وَفُتِّحَتْ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ فَلَمْ يُغْلَقْ مِنْهَا بَابٌ، وَيُنَادِي مُنَادٍ يَا بَاغِيَ الْخَيْرِ أَقْبِلْ، وَيَا بَاغِيَ الشَّرِّ أَقْصِرْ، وَلِلَّهِ عُتَقَاءُ مِنَ النَّارِ وَذَلِكَ كُلَّ لَيْلَةٍ)). وأخرج ابن خزيمة في صحيحه. والبيهقي. وابن حبّان. عن سيّدنا سلمان الفارسي رضي الله عنه قال: خطبنا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم في آخر يوم من شعبان فقال: ((يَا أَيُّها النَّاسُ. قَدْ أَظَلَّكُمْ شَهْرٌ عَظِيمٌ مُبَارَكٌ، شَهْرٌ فِيهِ لَيْلَةٌ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ، شَهْرٌ جَعَلَ اللهُ صِيَامَ نَهَارِهِ فَرِيضَةً. وقِيَامَ لَيْلِهِ تَطَوُّعاً، مَنْ تَقَرَّبَ فِيهِ بِخَصْلَةٍ مِنَ الخَيْرِ. كَانَ كَمَنْ أَدَّى فَرِيضَةً فِيمَا سِواهُ، ومَنْ أَدَّى فِيهِ فَرِيضَةً. كَانَ كَمَنْ أَدَّى سَبْعِينَ فَرِيضَةً فِيمَا سِواهُ، وهُوَ شَهْرُ الصَّبْرِ، والصَّبْرُ ثَوابُهُ الجَنَّةُ، وشَهْرُ المُواسَاةِ، وشَهْرٌ يُزَادُ فِيهِ رِزْقُ المُؤمِنِ، مَنْ فَطَّرَ فِيهِ صَائِماً كَانَ مَغْفِرَةً لِذُنُوبِهِ. وعِتْقاً لِرَقَبَتِهِ مِنَ النَّارِ، وكَانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَجْرِ الصَّائِمِ شَيءٌ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، لَيْسَ كُلُّنَا يَجِدُ مَا يُفَطِّرُ الصَّائِمَ عَلَيْهِ، فَقَالَ صلّى الله عليه وسلّم: يُعْطِي اللهُ هَذَا الثَّوابَ مَنْ فَطَّرَ صَائِماً عَلَى تَمْرَةٍ، أَو عَلَى شَرْبَةِ مَاءٍ، أَو مَذْقَةِ لَبَنٍ، وهُوَ شَهْرٌ أَوَّلُهُ رَحْمَةٌ. وأَوْسَطُهُ مَغْفِرَةٌ. وآخِرُهُ عِتْقٌ مِنَ النَّارِ، واستَكْثِروا فِيهِ مِنْ أَرْبَعِ خِصَالٍ: خَصلَتَينِ تُرْضُونَ بِهِمَا رَبَّكُمْ، وَخَصلَتَينِ لاَ غِنىً بِكُمْ عَنْهُمَا، فَأَمَّا الخَصلَتَانِ الَّلتَانِ تُرضُونَ بِهِمَا رَبَّكُمْ. فَشَهَادَةُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ. وتَستَغْفِرُونَهُ، وأَمَّا الَّلتَانِ لاَ غِنَىً بِكُمْ عَنْهُمَا. فَتَسأَلُونَ الجَنَّةَ. وتَعُوذُونَ مِنَ النَّارِ، وَمَنْ سَقَى صَائِماً سَقَاهُ اللهُ مِنْ حَوْضِي شَرْبَةً لاَ يَظْمَأُ بَعْدَهَا حَتَّى يَدْخُلَ الجَنَّةَ))، أيّها المسلمون. نعم. بمثل هذه الأحاديث العظيمة كان صلى الله عليه وسلم يعظ أصحابه إذا أظلّتهم بشائر شهر

رمضان؛ لينشّط من هممهم إلى الطاعة والعبادة، وليصرفهم عن دنياهم إلى أخراهم، ومن متاع فانٍ إلى تجارة رابحة دائمة، فهل لنا في ذلك متّعَظ؟! فما أحوجنا إلى هذه الموعظ النبوية في زمن ضعف فيه الإيمان، وفسدت فيه الكثير من القيم والأخلاق، وقست القلوب، وزاد القلق والهموم والغموم، وكثرت الهواجس، وضعف اليقين بما عند الله وما أعدّه لعباده. فما أحوجنا لهذه النفحات الربانية، فقد رَوَى الْإِمَامُ الطَّبَرَانِيُّ مِنْ حَدِيثِ مُحَمَّدِ بْنِ مَسْلَمَةَ الْأَنْصَارِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((إِنَّ لِرَبِّكُمْ فِي أَيَّامِ دَهْرِكُمْ نَفَحَاتٌ، فَتَعَرَّضُوا لَهَا، لَعَلَّهُ أَنْ يُصِيبَكُمْ نَفْحَةٌ مِنْهَا فَلَا تَشْقَوْنَ بَعْدَهَا أَبَدًا)). وروى كذلك الطبراني بسند حسن من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((افْعَلُوا الْخَيْرَ دَهْرَكُمْ، وَتَعَرَّضُوا لِنَفَحَاتِ رَحْمَةِ اللَّهِ، فَإِنَّ لِلَّهِ نَفَحَاتٍ مِنْ رَحْمَتِهِ يُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ، وَسَلُوا اللَّهَ أَنْ يَسْتُرَ عَوْرَاتِكُمْ، وَأَنْ يُؤَمِّنَ رَوْعَاتِكُمْ)). وقد أجمل الله سبحانه نفحات هذا الشهر بقوله جل وعلا: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمْ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ)). أيّها المسلمون. فهذا رمضان مقبِل علينا بعد أيام قليلة، فأقبلوا عليه، وخذوا منه الصحة لأجسامكم، والسموّ لأرواحكم، والعظمة لنفوسكم، والقوّة لأجسادكم، والبذل والفضل، والكرم والعفو. والتسامح والصدق، لتسموا أخلاقكم، فرمضان فرصة لتربية النفس في هذه الجوانب، لتستقيم طوال العام، ومَن لم يُدرك هذه الحقائق الربانية، فقد يخسر. وأيّ خسارة أعظم من السقوط من عين الله ورعايته ورحمته، ففي صحيح البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالْعَمَلَ بِهِ فَلَيْسَ لِلَّهِ حَاجَةٌ فِي أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ)). وروى أحمد وغيره عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ((رُبَّ صَائِمٍ حَظُّهُ مِنْ صِيَامِهِ الْجُوعُ وَالْعَطَشُ ، وَرُبَّ قَائِمٍ حَظُّهُ مِنْ قِيَامِهِ السَّهَرُ)). ورمضان فرصة للتوبة النصوح، والندم على ما فات من التقصير، والعزم على عدم العودة

للذنوب والمعاصي والآثام، فالتوبة إليه سبحانه. والتضرع بين يديه. من أهمّ الأعمال في شهر رمضان. فكلّنا واللهِ ذوو خطأ، وكلّنا ذاك المذنب، والخطأ من طبيعة البشر، والمعصوم من عصمه الله سبحانه وتعالى، والكمال لصاحب الكمال سبحانه، وكل بني آدم خطّاء، وخير الخطّاءين التوّابون. ففي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لوْ لَمْ تُذْنِبُوا لَذَهَبَ اللَّهُ بِكُمْ، وَلَجَاءَ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ، فَيَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ، فَيَغْفِرُ لهمْ)). وإنّ من أعظم الأمور المعينة على التوبة، أن يستحضر العبد سعة رحمة الله سبحانه وتعالى، فهو القائل في سورة الزمر: ((قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ)). وهو القائل سبحانه وتعالى في سورة آل عمران: ((وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ)). أيّها المسلمون. إنّ رمضان المبارك خطوة نحو التغيّير لمن هجر قراءة القرآن الكريم، وتدبّر أحكامه. والعمل بما فيه، فينبغي للمسلم أن يحدّد لنفسه وِرداً معيّناً يحافظ عليه في كل يوم، فيربّي نفسه، ويزكّي أخلاقه، ويعرف مكانه من الله، يقول الله تعالى في سورة البقرة: ((شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنْ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ)). رُوي أنّ الأحنف بن قيس رحمه الله، كان جالساً يوماً قبل شهر رمضان بأيام، فجال في خاطره قوله تعالى في سورة الأنبياء: ((لَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَاباً فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ)). فقال: عليَّ بالمصحف لألتمس ذكري حتى أعلم مَن أنا؟ ومَن أُشبه؟ وما هي أعمالي؟ فمرّ بقوم وهو يقرأ كتاب الله، قال تعالى فيهم في سورة الذاريات: ((كَانُوا قَلِيلاً مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ، وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ، وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ)). ومرّ بقوم قال تعالى فيهم في سورة آل عمران: ((الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاء وَالضَّرَّاء وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ)). ومرّ بقوم وهو يقرأ في كتاب الله. قال تعالى فيهم

في سورة الحشر: ((وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ)). ومرّ بقوم وهو يقرأ في كتاب الله. قال تعالى فيهم في سورة الشورى: ((وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ)). فقال تواضعاً منه: اللهم لستُ أعرف نفسي في هؤلاء، ثم أخذ يقرأ فمرّ بقوم قال تعالى فيهم في سورة الصافات: ((إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ)). ومرّ بقوم يقال لهم في سورة المدثر: ((مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ، قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ، وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ، وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ، وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ، حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ)). فقال: اللهم إنّي أبرأ إليك من هؤلاء، حتى مرّ على قومٍ وهو يقرأ كتاب الله، قال الله فيهم في سورة التوبة: ((وَآخَرُونَ اعْتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُواْ عَمَلاً صَالِحاً وَآخَرَ سَيِّئاً عَسَى اللّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ)). فقال: اللهم أنا من هؤلاء. أيّها المسلمون. هيّا بنا نقرأ القرآن بتدبّر وخشو. ونمتّع أعيننا بلذّة النظر في كتاب الله تعالى. لنفوز بلذّة النظر إلى وجهه الكريم سبحانه يوم القيامة. وحتى لا نكون ممّن قيل فيهم كما في سورة الأعراف: ((لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ)). نفعني الله وإياكم بالقرآن العظيم، وبهدي سيّد المرسلين، صلى الله عليه وسلم. اللهم اجعلنا من أهل القرآن الذين يعظّمونه حق التعظيم. فيؤمنون بمتشابهه. ويعملون بمحكمه. ويحلّون حلاله. ويحرّمون حرامه. ويحكّمونه في جميع أمورهم. اللهم ارزقنا حلاوة المناجاة. واجعل قرّة أعيننا في تلاوة الآيات. واسلك بنا سبيل أهل السعادة والتقى. ونعوذ بك من موجبات الخِذلان والشقا. اللهم بارك لنا فيما بقي من شعبان، وبلّغنا برحمتك شهر رمضان، يا ذا الجلال والإكرام. اللهم أهلّه علينا وعلى جميع المسلمين، بالأمن والإيمان. والسلامة والإسلام، والتوفيق لما تحب وترضى. اللهم ارزقنا فيه الجدّ والإجتهاد. والقوّة والنشاط، وأعِذنا فيه من الفتن والمحن. واجعَلنا فيهِ مِنَ المُستَغْفِرينَ القانِتينَ، وَأَعِنَّا فِيهِ يَا رَبَّنَا عَلَى

حُسْنِ الْعِبَّادَةِ فِي الصِّيَامِ وَالْقِيَامِ، وَعَلَى غَضِّ الْبَصَرِ وَحِفْظِ اللِّسَانِ مِنَ الآثَامِ. اللَّهُمَّ سَلِّمْنَا إِلَى رمضانَ وسَلِّمْ لَنَا رمضانَ، وتَسَلَّمْهُ منَّا بقَبول ورِضوان. بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين. يا رب العالمين. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين. اهـ